كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي

- **صاحب الكتاب:**

هو أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب بن حُدَير بن سالم القرطبي (249–328هـ)، وكان مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي.

ولد بقرطبة التي كانت قلب الثقافة العلمية والأدبية الأندلسية كما كانت بغداد قلب الثقافة العباسية، وتتلمذ فيها على يد علماء الأندلس وأدبائها، ومن أبرزهم محمد بن وضاح، ويحيى بن يحيى الفقيه، وبَقي بن مَخْلَد، كما اطلع على أمهات الكتب الأدبية في المشرق العربي كالبيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد وعيون الأخبار لابن قتيبة، وصبّ كل ما استوعبه منها في كتاب العقد الفريد، حتى ذاع صيته واشتهر بسعة علمه وطول خبرته في الشعر، وعاصر من خلفاء الأندلس محمد بن عبد الرحمن، وعبد الرحمن الناصر.

- **كتاب العقد الفريد:**

يعدّ كتاب العقد الفريد من أشهر الكتب في عصر تأليفه إلى هذا الحين، إذ يعدّ موسوعة علمية أدبية جمع فيه من الأخبار والأنساب والأمثال والشعر والعروض والموسيقى والنقد والبلاغة، والعادات والتقاليد والأخلاق.

عُرِف الكتاب منذ تأليفه باسم العقد، وذكرت الكتب الأدبية والنقدية وتاريخ الأدب أن كلمة العقد أضيفت له دلالة على مدى إعجاب الأدباء بمادته وتفرّده، وقيل بأنّ الكتاب سمي بالعقد لأنه قسّم إلى أبواب، حمل كل باب منها اسم حجر كريم، كالزبرجدة والمرجانة والياقوتة والجمانة واللؤلؤة وغيرها.

- **منهج الكتاب:**

بدأ ابن عبد ربه كتاب العقد الفريد بمقدمة تفصيليّة، ذكر فيها سبب تأليفه الكتاب، وأقسامه، والمنهج الذي اتبعه في التأليف، أما في سبب تأليفه فقال: "وبعدُ، فإنّ أهلَ كلِّ طبقةٍ

وجهابذةَ كلِّ أمّةٍ قد تكلّموا في الأدب، وتفلسفوا في العلوم على كلّ لسان ومع كلّ زمان، وأنّ كلّ متكلِّمٍ منهم قد استفرغ غايتَهُ، وبذَلَ جهده، في اختصارِ بديعِ معاني المتقدِّمين، واختيار جواهر ألفاظ السالفين، وأكثروا في ذلك، حتى احتاجَ المختصَر منها إلى اختصار والمتخيَّر إلى اختيار"، وهذا ما ميّز كتاب العقد الفريد عن غيره، إذ إنّه جاء شافيًا جامعًا لأكثر المعاني التي جرت على ألسنة العامة والخاصة، كما أنه قدّم غيه كل ما يتعلق بالمغرب الإسلامي من آداب وأخبار، دون أن يشير إلى الأندلس وأهلها، إلا عندما عرَّف بنفسه.

- **محتوى الكتاب:** قال ابن عبد ربّه: "وقد ألّفتُ هذا الكتاب، وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب، ومحصول جوامع البيان، فكان جوهر الجوهر ولباب الألباب، وإنما لي فيه تأليف الأخبار، وفضل الاختيار، وحسن الاختصار، وما سواه –يقصد المعلومات– فمأخوذ من أفواه العلماء، ومأثورٌ عن الحكماء والأدباء. واختيار الكلام أصعب من تأليفه"، وقد استوعب في كتابه كل ما قرأه من كتب المشرق الإسلامي ككتاب البيان والتبيين والكامل وعيون الأخبار.

- **أقسام الكتاب:**

قسّمه ابن عبد ربه إلى خمسة وعشرين بابا –جوهرة–، متراصة على شكل العقد، وجعل أهمّها وأنفسها ما سُمّي بواسطة العقد وهي كتاب الواسطة في الخطب، وجعل على يمينها اثنتي عشرة كتابا جوهرة، وعلى يسارها اثنا عشرَ كتابًا جوهرة، وقد ابتعد فيه عن ذكر الأسانيد خوفًا من الإطالة.

أمّا أقسام الكتاب فهي: اللؤلؤة في السلطان. الفريدة في الحروب ومدار أمرها. الزبرجدة في الأجواد والأصفاد. الجمانة في الوفود. المرجانة في مخاطبة الملوك. الياقوتة في العلم والأدب. الجوهرة في الأمثال. الزمردة في المواعظ والزهد. الدرة في المعازي والمراثي. اليتيمة في النسب وفضائل العرب. العسجدة في كلام العرب. المجنبة في الأجوبة. كتاب الواسطة في الخطب: وهي أنفس جوهرة في الكتاب، سبقتها أبواب العقد الأولى في اثنتي عشرة جوهرة، وتلتها أبواب العقد الثانية في اثنتي عشرة جوهرة. اللؤلؤة الثانية في النتف والهدايا والفكاهات والملح. الفريدة الثانية في الطعام والشراب. الزبرجدة الثانية بيان طبئع الإنسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان.

الجمانة الثانية في النساء وصفاتهن. الياقوتة الثانية في علم الألحان واختلاف الناس فيه. الجوهرة الثانية في أعاريش الشعر وعلل القوافي. الزمردة الثانية في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه. الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم. اليتيمة الثانية في زياد والحجاج والطالبيين والبراكمة. العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأيامهم.

أهمية الكتاب: يعد العقد الفريد مصدرا مهما من مصادر الأدب في التراث العربي، لتميزه بوفرة المادة وتنوع الموضوعات التي استقاها ابن عبد ربه من مصادر عدة.

- **نموذج من الكتاب:**

جاء في صفة الحروب: "قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن معدد يكرب: صف لنا الحرب، قال: مرّة المذاق، إذا كشفت عن ساق، من صبر فيها عرف، ومن نكل عنها تلف، ثم أنشأ يقول:

الحربُ أوّلٌ ما تكونُ فُتيَّةً ... تسعى بزينتها لكلِّ جَهولِ

حتى إذا استَعَرَت وشَبَّ ضِرامُها ... عادت عجوزاً غيرَ ذاتِ خليلِ

شمطاءَ جَزَّت رأسَها وتَنَكَّرَت ... مكروهةً للشَّمِّ والتقبيلِ

مراجع الدرس:

- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.
- عز الدين إسماعيل، المصادر اللغوية والأدبية في التراث العربي، مكتبة غريب، مصر، دت.
- السعيد الورقي، في مصادر التراث العربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م.